وثائق روسية

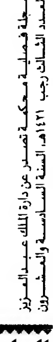
مهمة كريم حكيموف لمقابلة الملك عبدالعزيز أثناء حصار جدة ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م

إعداد : د. فهد بن عبدالله السماري
أمين عام دارة الملك عبدالعزيز

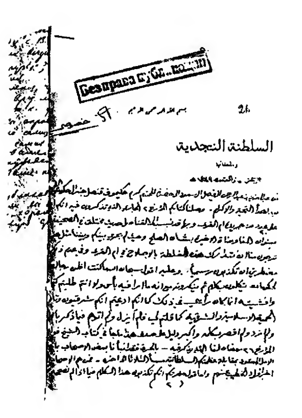
ضمن جهودها المتواصلة لجمع الوثائق والمواد التاريخية الوطنية والخارجية ذات العلاقة بتاريخ البلاد السعودية كافة تمكنت دارة الملك عبدالعزيز من الحصول على نسخة مصورة لمعظم الوثائق الروسية ذات الصلة بالمملكة العربية السعودية، والمحفوظة في أرشيف وزارة الخارجية بموسكو، وأرشيف سنت بطرسبرج. وتتضمن هذه الوثائق تقارير دبلوماسية سياسية واقتصادية، وكتابات روسية عن الجزيرة العربية. ومن أبرز محتويات تلك المجموعة الوثائقية تقارير القنصلية الروسية في جدة السياسية والاقتصادية وبخاصة تلك التقارير التي كتبها القنصل السوفيتي في جدة عبدالكريم حكيموف[1] المعروف غالبا باسم كريم حكيموف.

ولقد بدأ اتصال كريم حكيموف بالملك عبدالعزيز في أثناء حصار جدة في عام ١٣٤٣هـ حيث لم يمض على وصوله إلى

(١) هو عبدالكريم عبدالرؤوف وفيج حكيموف ولد سنة ١٣١١هـ/١٨٩٢م في بلدة "أوفا" في بشكيريا، وهو مسلم من مسلمي بلاد التتار، انضم إلى أعمال الدولة السوفيتية وخاصة في المجالات الدبلوماسية. اعتقلته السلطات السوفيتية في عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م، وأعدم ضمن مجموعة من الشخصيات السياسية والعسكرية والإدارية في حملة التطهير التي قادها ستالين.



جدة سوى عام تقريبا إثر تأسيس قنصلية سوفيتية بها في عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م في عهد الشريف حسين آنذاك(٢). وجاء اتصال حكيموف بالملك عبدالعزيز من منطلق الرغبة في محاولة الإصلاح بينه وبين حكومة الشريف في جدة، ولاستطلاع الأوضاع من أجل مصلحة السياسة السوفيتية في المنطقة. وتضمنت الوثائق الروسية بعض المراسلات المتعلقة بمهمة حكيموف المبكرة هذه لمقابلة الملك عبدالعزيز قبيل دخوله إلى جدة. ففي رسالة وجهها الملك عبدالعزيز إلى القنصل السوفيتي ونائب قنصل إيران في ١٥ رمضان ١٣٤٣هـ بين فيها تسلم ما يفيد بالعزم على مقابلته وأنه يرحب بذلك، وسوف يرسل من يستقبلهم في أثناء الطريق.



السلطنة النجدية

وتشير الوثائق الروسية إلى تفاصيل تلك المقابلة التي تمت بين الملك عبدالعزيز و حكيموف في شهر رمضان ١٣٤٣هـ. وسأورد هنا بعض محتويات تقرير حكيموف عن تلك الرحلة الذي أعده في ١٧ يونيه ١٩٢٥م الموافق ٢٦ ذي القعدة ١٣٤٣هـ، ورفعه لوزارة الخارجية في موسكو.

جاء التقرير في (١٥) ورقة باللغة الروسية، وتضمن في بدايته ملخصًا بأهم المراحل التي مرت بها عملية تنظيم الرحلة والتحضير لها. و أشار حكيموف في بداية التقرير إلى أن سبب

(٢) هناك دراسة علمية تحليلية للعلاقات السعودية-الروسية في عهد الملك عبدالعزيز، أقوم حاليًا بإعدادها للنشر ضمن مشروعي العلمي عن تاريخ العلاقات الدولية للمملكة العربية السعودية.

قيامه برحلته إلى مكة المكرمة ومقابلته الملك عبدالعزيز يعود إلى وجود "عدد من المسائل التي تخص ابن سعود والتي لم تكن واضحة ولم يكن ممكننا إلقاء الضوء عليها بشكل كاف إلا بالمتابعة الشخصية". وذكر حكيموف أنه رتب رحلته بشكل يجنبه شكوك قناصل الدول الأخرى من جهة، وضمان موافقة الملك عبدالعزيز على استقباله، وذلك من خلال طلبه مشاركة كل من وكيل القنصل الهولندي ونائب القنصل الإيراني في جدة في مهمته هذه.

وقال حكيموف: إنه اتفق مع شريكيه في الرحلة على توزيع المهامات من حيث الحديث مع الملك عبدالعزيز عند مقابلة جلالته، وبناء على ذلك "كان على نائب القنصل الإيراني أن يحيط ابن سعود علما بوضع الحجاز، ووكيل القنصل الهولندي بقدرة علي العسكرية، أما أنا فكان علي أن أحيطه علما بوضع شبه الجزيرة العربية". وحصل حكيموف على إذن الملك علي بن الحسين الذي -كما يشير التقرير- أعرب عن الرغبة في المساعدة في عقد صلح مع الملك عبدالعزيز.

ويصف حكيموف بداية الرحلة من جدة إلى مكة قائلا: "في الساعة السابعة من صباح العاشر من أبريل اجتزنا راكبين سيارتنا خط القتال. وبعد ١٥-٢٠ دقيقة مرت قذيفة مدفع فوق رؤوسنا، وأخذت الطلقات النارية تظهر من حين لآخر ورفعنا علما أبيض، و توقف إطلاق النار. واتضح أننا بلغنا معسكر ابن سعود، ولذا فتحت وحدات الحراسة النار علينا، لأنها رأتنا بمثابة سيارة مصفحة معادية. واجهتنا مفرزة من الفرسان أوصلتنا إلى الملك عبدالعزيز الذي استقبلنا عند أبواب خيمته.

واجهتنا مفرزة من الفرسان أوصلتنا إلى الملك عبدالعزيز الذي استقبلنا عند أبواب خيمته

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٢١هـ، السنة السادسة والعشرون
الدارة

وبعد أن تبادلنا التحيات وتحدثنا عن الوضع الدولي انصرفنا إلى خيمة خصصت لنا".

ويشير حكيموف إلى تعرضهم إلى حادثة كادت تودي بحياتهم وهم ضيوف عند الملك عبدالعزيز مما أربك الوضع أثناء رحلتهم هذه. قال حكيموف: إنه في اليوم الآتي ١١ يونيه ١٩٢٥م، الموافق ١٧ رمضان ١٣٤٣هـ "ذهبنا نحن الثلاثة برفقة مفرزة فرسان إلى السيارة التي كانت مشلولة الحركة في الرمال لنقلها إلى مكان أقرب إلى المخيم حيث يمكن تركها في أثناء سفرنا إلى مكة. ودلتنا المفرزة التي برفقتنا إلى الطريق ونحن نتبعها، وعندما كنا نشق طريقنا فُتحت علينا النار فجأة من الجبال الواقعة على بعد مئة متر تقَريبًا من مخيم الملك عبدالعزيز، واندفعت المفرزة التي كانت برفقتنا نحو مصدر نيران البنادق الذين بدؤوا في العراك مع بعضهم الآخر. بلغ مجموع ما أطلق علينا كما اتضح فيما بعد (٣٥) طلقة، أصابت إحداها الراديتير فتعطلت السيارة. وبعد أن نجونا من النيران ذهبنا إلى خيمتنا حيث كان في انتظارنا وزير الخارجية الذي اعتذر نيابة عن السلطان عما حدث. ولم يمض وقت طويل حتى أرسل الملك عبدالعزيز كتاب اعتذار مع ملحق لتقرير أصلي قدمه ابن بجاد قائد قوات السلطان".

وألحق بالتقرير نسخة من تلك الرسالة التي وجهها الملك عبدالعزيز إلى أعضاء الوفد الثلاثة بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٤٣هـ

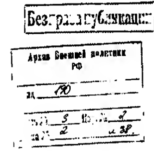
جاء فيها: "من خصوص مسألة أمر هالجهال اليوم هي كثيرا غشتني وحتى الإخوان غشتهم وكان ذلك من كتابهم طيه، فالآن بارك الله فيكم معلوم حضراتكم أن هذه المسألة وإن كانت بسيطة لكنها كبيرة وكثيرا أنا متكدر منها لحد النهاية، وإنما بموجب أمور يسهل علي بعض الكدر الأول أن ليس الأمر. بل هم أناس في مناطقهم منذ أربعة أيام، ولاعندهم خبر من ذلك؛ والثاني أن معرفتكم بمقامكم عندي أجلّ من أن تكونوا هدفا لهكذا تعرضات، ولكني أرجوكم إزالة ما علق بخواطركم؛ الثالث الأوادم المجرمين هم حال قبضتنا وسنؤدبهم -إن شاء الله- الأدب اللائق بفعلهم حتى يستأدب أمثالهم، ولكنني كثير الألم والكدر مما ذكر أعلاه وباقي الجواب من رأس حامله الدكتور عبدالله". أي الدكتور عبدالله الدملوجي.

وألحق بالتقرير الرسالة التي وجهها سلطان بن بجاد، وسلطان أبا العلا، وجهجاه بن حميد، وعلوش بن خالد، وعبدالمحسن الهيضل، وخالد بن جامع، وجمل المفري بشأن ما حدث لوفد القنصليات من إطلاق النار عليهم يأسفون عما حدث، ويخبرون الملك عبدالعزيز بأنهم لم يشتركوا في ذلك الحادث، وأنهم تمكنوا من أسر الرجال الذين تسببوا في الحادث، ويطلبون أمر جلالته بمعاقبتهم.

وبعد تداول أعضاء الوفد الحديث حول ما حدث لهم واعتذار الملك عبدالعزيز أرسلوا إلى جلالته يستفسرون عما إذا كان هناك خطر يتهددهم في أثناء مواصلة الرحلة إلى مكة المكرمة والعودة. وجاءت إجابة الملك عبدالعزيز في رسالة وجهها إليهم؛ وألحقت بالتقرير مؤرخة في ١٧ رمضان جاء فيها: "وبعد أخبر حضرتكم بأنكم سوف تكونون محل العناية والحفاوة في حلكم وترحالكم وعودتكم، مع أنه ليس هناك خطر على أنفسكم

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٢١هـ، السنة السادسة والعشرون
الدارة

في جميع تلك الحالات، كما أني أرجوكم أن تكونوا مطمئنين آمنين".


بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل السعود الى حضرة صاحب السعادة ... قنصل السوفيت ووكيل قنصل دولة ايران العلية
بعد تقديم اللازم مع الاحترام هو انه قد تشرفنا باستلام جوابكم العزيز المتضمن تفضلكم علينا بالاعلام ...
جنابكم بالارض فعليه سنرصد وقت توجهكم الينا المرسل من يلزم لملاقاتكم اثناء الطريق حسب ما تفضلتم
وبالختام تقبلوا فائق الاحترام

وتعكس هذه الحادثة وطريقة الملك عبدالعزيز في معالجتها حرصه على إيضاح الحقائق، ومتابعته الجادة لتفاصيل الحادث، وعدم قبوله بأي محاولة لإيذاء ضيوفه مهما كان الأمر. ويأتي تزويد جلالته أعضاء الوفد بالنسخة الأصلية لرسالة ابن بجاد إلى الملك عبدالعزيز حول الموضوع ضمن سياسته الحكيمة المتمثلة في إطلاعهم على الحقائق كما وردت إليه دون تأخر، ولطمأنتهم على أن ما حدث كان أمرا عارضا، وليس كما يمكن أن يفكر فيه على أنه عمل مقصود، لا سيما أن الملك عبدالعزيز كان في حالة حصار، والدبلوماسية مطلوبة، كي تنتصر على الصعوبات والتحديات.

واصل حكيموف وزميلاه الرحلة إلى مكة لأداء العمرة، وقاموا بمقابلة العديد من الأهالي في المنطقة لاستطلاع الأوضاع هناك. وتمكن حكيموف من التعرف على جوانب كثيرة في المنطقة، وتبين له -كما أشار إلى ذلك في التقرير المرفوع لوزارة الخارجية في موسكو- أن الملك عبدالعزيز حقق نجاحا باهرا في إقرار النظام، وإقامة الأمن، وفتح ثلاثة موانئ على البحر الأحمر هي القنفذة ورابغ والليث، التي مكنت من تزويد مكة المكرمة بالمؤن والأغذية ووصول الحجاج إليها دون التأثر بحصار جدة. ونتيجة لزيارته إلى مكة ومحادثاته مع بعض الأهالي والشخصيات فيها تمكن حكيموف من معرفة حقيقة الوضع

قائلا: "اعتمادا على ما سبق نخلص إلى أن سياسة ابن سعود التي حظيت بتأييد معظم سكان الحجاز في ظل العجز العام للملك علي يجعل وضعه متينا وراسخا".

وكما تناول أيضا تقرير حكيموف الوضع العسكري لقوات الملك عبدالعزيز وتشكيلاتها التي وصفها بالبساطة وعدم القوة أو التنظيم من منظور عسكري حديث. كما تناول التقرير أبرز الموضوعات التي ناقشها حكيموف مع الملك عبدالعزيز خاصة في مجال الأوضاع السياسية والعلاقات الدولية. وقال حكيموف: إنه عندما سأل الملك عبدالعزيز عن مصير الرسالة التي أرسلها إلى جلالته العام الماضي بشأن العلاقة مع الاتحاد السوفيتي، "انهال عليَّ في هذا الصدد بأسئلة عن علاقات الاتحاد السوفيتي مع اليابان وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا، وعن الانتفاضة الجورجية، وعن إنجازاتنا في النهوض بالصناعة والزراعة، وما إلى ذلك". ويدل هذا دون شك على سعة اطلاع الملك عبدالعزيز في المسائل الدولية، وأسلوبه الحكيم في التعرف على خلفية علاقات الدولة التي يرغب في الارتباط معها بأي نوع من العلاقة. كما تدل على أفق الملك عبدالعزيز الواسع في استجلاب المعلومات عن التنمية في مجالات الصناعة والزراعة في تلك الفترة المبكرة وهو منشغل بالحصار والنواحي العسكرية. وهذا يشير وبكل وضوح إلى عمق المبادئ والمنهجية في بناء الدولة التي كانت في ذهن الملك عبدالعزيز منذ بداية مشروعه الحضاري المتمثل في توحيد المملكة العربية السعودية، وتأسيس الدولة الحديثة على المبادئ الإسلامية، والانفتاح والتطوير الذي يتفق مع ذلك، ونشر الأمن

الملك عبدالعزيز كان يهتم وبشكل ملحوظ بموضوع الحجاج المسلمين في الاتحاد السوفيتي وتمكينهم من الحج إلى مكة

والاستقرار والارتقاء بالمجتمع بفئاته كافة.

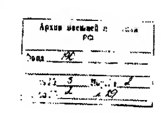
وأشار حكيموف إلى أن الملك عبدالعزيز كان يهتم وبشكل ملحوظ بموضوع الحجاج المسلمين في الاتحاد السوفيتي وتمكينهم من الحج إلى مكة. وأبلغه حكيموف بأن ذلك ممكن بعد أن يتم إيجاد علاقات بين البلدين، وقال: إن تلك المباحثات الشخصية معه أظهرت "أنه مهتم بحجاجنا أكثر من أي شيء آخر، وليس لديه أي مانع من إقامة الروابط معنا على هذا الأساس". ويشير هذا الاهتمام الذي أولاه الملك عبدالعزيز لمسألة الحجاج إلى حرص جلالته على أن يتمكن المسلمون كافة من أداء فريضة الحج.

وذكر حكيموف أنه تحدث مع الملك عبدالعزيز بشأن الصلح مع الملك علي، وقال له: إنه لا يعارض اللقاء مع مبعوث علي لإجراء المفاوضات حول السلم، ومحاولة تسوية النزاع بطريق سلمي، وأنه ضد سفك الدماء". وقد عبر حكيموف في هذا التقرير عن سعادته البالغة بهذا الموقف من الملك عبدالعزيز ونقل ذلك إلى حكومة الملك علي.

ونتيجة لهذه المهمة استقبل الملك عبدالعزيز فؤاد الخطيب وزير خارجية حكومة الحجاز في آخر شهر رمضان ١٣٤٣هـ، ونشرت جريدة أم القرى في عددها رقم ٢٠ الصادر في ١٥ شوال ١٣٤٣هـ خبر محاولة المصالحة هذه التي تدخل فيها كريم

حكيموف. ونشرت جريدة أم القرى في عددها رقم ٢٤ الصادر في ١٣ ذي القعدة ١٣٤٣هـ استنكار حكيموف نشر خبر علاقته بالمصالحة في الجريدة، ورد الملك عبدالعزيز عليه باستغراب جلالته من موقفه هذا المتناقض على ما حدث فعلا.

ولقد تضمنت الوثائق الروسية نسخا من تلك المراسلات التي دارت في هذا الشأن بين الملك عبدالعزيز وكريم حكيموف. فلقد جاء في رسالة وجهها الملك عبدالعزيز في ٥ ذي القعدة ١٣٤٣هـ إلى حكيموف ما يأتي: "وصلنا كتابكم المؤرخ في ٢ الجاري الذي تذكرون فيه أنكم اطلعتم على عدد ٢٠ من جريدة أم القرى، وبها قد نسب إلى القناصل حديث مختلق في الصحيفة بعنوان المفاوضات الأخيرة بشأن الصلح. وحيث لم يجر بيننا وبينكم مثل هذا ترجون منا أن نتدارك هذه الغلطة بالإصلاح في أم القرى، وفي عدم ذلك تكونون مضطرين أن تكذبون رسميا. وعليه أقول: سبحان الله، ما كنت أظن رجال معتمدي الحكومات يتكلمون بكلام ثم ينكرونه، مع أنه ما أرى فيه بأس، ولا أنتم طلبتم كتمانه وأفشيته، إنما كان رأيي في ذلك كما أنكم ادعيتم أنكم شرقيون وتأخذكم الحمية الإسلامية والشرقية كما قلتم لي، فلم أزل ولم أتوهم فيما ذكر بأم القرى، ولم أزد، ولم أقصر بكلمة، وأكبر دليل على صدق هذا ما جاء في كتاب الشيخ فؤاد الخطيب المؤرخ ٢٦ رمضان لنا الذي يذكر فيه بالحرف، فقد أنبأنا بعض الأصحاب بما حققه الأمل المعقود بمقابلة عظمتكم السلطانية



مساء الثلاثاء إلى آخره فمن هم الأصحاب الذين أخبر فؤاد الخطيب عنهم. وأما قول حضرتكم: إنكم تكذبون هذا الكلام فيما إذا لم نصححه، فهذا فيما أظنه ليس من مصلحتكم؛ لأن ذوي العقول يميزون الكلام، فإن كذبتم كذبتم أنفسكم، وإن صدقتم صدقتموها والسلام، بما أن قد تحدثكم أنفسكم على تكذيب ما جاء في أم القرى في صدد المفاوضات الآنف ذكرها يكون من الضروري أن آمر بنشر كتابكم و جوابي هذا عليه، ولكن سأؤخر نشره لمدة أسبوع من تاريخه، فإن وصلني منكم كتاب بصرف النظر عن هذه الدعوى وإلا سآمر بنشره ليطلع عليه ذوي العقول السليمة". وما حدث هو أن أمر الملك عبدالعزيز بنشر هذه الرسالة ورسالة حكيموف قد تم بالفعل، وظهر ذلك في عدد أم القرى ٢٤ في ١٣ ذي القعدة ١٣٤٣هـ.

ولم تؤثر هذه الأحداث في علاقة حكيموف بالملك عبدالعزيز، بل توثقت هذه العلاقة أكثر عند دخول جلالته جدة، وأعلن عن توحيد الحجاز مع بقية أجزاء البلاد. وكان حكيموف هذا هو أول قنصل تعلن بلاده اعترافها الرسمي بالملك عبدالعزيز وبالدولة السعودية الجديدة التي حملت اسم "مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها"، وذلك بعد شهر تقريبا من صدور المرسوم الملكي بهذا الشأن في ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ.